المرأة والحياة

لم اجد غير هذا العنوان موافقاً للكلام على المرأة وحالتها على العموم اذ هي العضو المهم في الهيئة الاجتماعية وبسعادتها تسعد البلاد وبعلمها تحيي الامم وبالعكس . وما شاقني للبحث في موضوع كهذا طال الكلام فيه وكثر الجدال الا انتقاداً لامر عرضي لم يؤثر على جوهره في شيء . فاني استحسن كما استحسن كل عاقل تعليم المرأة واخراجها من مصائبها الحاضرة ومصائب الامة معها الى الحياة ولم اكن سريع الخاطر في بحث كهذا يحتاج لتروٍ كثير وامعان كبير بل هناك كلام آخر فيما يختص بحياة الامة بقطع النظر عن المرأة

اذا فرضنا ان جيشاً عدده مليونان من الرجال ذهب لاخضاع بلاد في صحراء افريقيا الشمالية في شمال بحيرة نشاد وان هذا العدد العظيم قد امر اوامر مشددة بعدم الاختلاط باية قبيلة او بلاد مجاورة له فبعد ان ادى مهمته وهي اخضاع العاصي واذلاله صدرت له اوامر اخرى بان يؤسس في هذه الصحراء مدينة او حكومة كاملة على شرط ان لا يدخلها النساء ثم كان جميع افراد هذا الجيش من الجهلاء ما عدا الضباط والقواد فماذا تكون حياتهم وهل بعد قليل من السنين اذا فرض ان الموت والمرض لم يأخذا غير اثنين في المائة كل يوم يظهر على هذه الحكومة قوة وحياة ومدنية او يعيشون هم وابناؤهم الصغار من الذكور كما كانوا ينتظرون امراً بالاياب او الذهاب

وهل يؤسسون المدارس وينظمون الادارات ويرتبون الجند ويقسمون الاعمال ام يعيشون فوضى . فاذا فرضنا المستحيل وانهم يبقون على ما هم عليه

حتى يعاجلهم الموت لانقرض وجودهم بالمرة اذ ان التناسل مقطوع وان قلنا انهم عمروا الخراب واقاموا المدارس واوجدوا المعدوم ورتبوا الامور ونظموا الاعمال فجعلوا مملكتهم الجديدة حكومة منظمة من كل الوجوه ولو ان حياتها ايام معدودة لعلمنا حينئذ السر في تقدم الامم والواجب الاول الذي لا بد من تقديمه للامم لتحيى لا حياة الابد والخلود بكثرة التناسل ولكن حياة العلم والتربية والفضل والشرف والعز والمنفعة مهما قصرت ايام وجودها على سطح الارض

مضى على مصر قرن وبعض من قرن والبلاد ماخطت غير خطوات صغيرة جداً في هذا الامد البعيد من الزمان على ان غيرها لو اعطي خصب ارض مصر وماء نيلها وصفاء سمائها وغنى تربتها لكان من اول الامم المعدودة الان ولاضحى غرة في جبين الزمان مثل أمة اليابان

نعجب وكيف لا نعجب من جرائدنا التي تدعي النصح والارشاد واخلاص الخدمة كيف تنادي بتقدم البلاد وسعادتها وبلوغها درجة رفيعة في العلم والمدنية والرفعة ثم ننظر في الجو والارض فلا نرى اثراً من ذلك حتى اذا ما بحثنا عن اسباب بعض تلك الزخارف المعاشية عرفنا انها منقولة عن امم أخرى طوت بها الاقدار بساط الارض طياً او رفعت لها الايام والليالي شراع الماء

يذهب بنا الامس فنستقبل الغد ولا نسمع غير تمويه وتقرير من جرائد مغررة مضللة ولا نرى غير اننا نمشي على نعال من الغرب وننظر بمناظر الغرب ونأكل من خيرات الغرب نكتب بورق من الغرب ونمداد من الغرب وننام على سرير صنعه الغرب ونكتسي من معامل الغرب ونتعلم ما

تفضل به علينا الغرب من فضلات كتبه ورسائله . فاي تقدم بلغناه واي حضارة افادتنا واي سعادة وصلنا اليها واي قول نقول واي لوم نسمع . مضى علينا حين من الدهر لم نقل فيه الا كنا وكان اباؤنا وكنا وكان اجدادنا ونسينا قول شاعرنا

وما الفخر بالعظم الرميم وانما ... فخار الذي يرجو الفخار بنفسه

ثار حب التفاخر بالآباء والانساب فينا فانسانا غيره حتى اضعنا كل نفيس وبعنا بابخس الاثمان كل عزيز وغال . ننظر للحكومة التي هي الوصية على الامة فنرى اكبر كبير فينا تحت وصاية الاجنبي فان التفتنا الى التجارة رأيناها ذاهبة للغريب وتحت تصرفه . فاذا اعرنا الصناعة لفتة رأينا الصانع لابس القبعة والزارع في البنك يرهن او يبيع . واذ دخلنا منازل القضاء رأيناها عامرة بالمجرمين او شوامخ السجون رأيناها ضيقة بالمدعوين . فان سألنا عن ارباب الصحافة وطالعنا فصولهم رأيناهم فوضى في ضلال مبين هذا يقدح في سلطانه وذاك يذم اميره وهذا يهتك الاعراض وآخر يستحسن الهجو في الدين ويسب رؤساءه العاملين او يا كل لقمة تسكته او يبلغ طلبا يرومه . فان سألنا عن المدارس دخلنا ثلاثاً او اربعاً مما توفرت فيها شروط النظافة والآداب . فاذا بحثنا عن اخلاق رجالها واساتذتها رأينا الجهل اولى بالاولاد من تلقي العلوم على مثل هؤلاء الاساتذة . وباقيها مجال للاقذار ومعمل للاكدار وسوق للتجارة في الدرهم والدينار

فلو سألنا عن الامراء وهم سادة البلد في منازلهم وجدناهم في حانات الخمور بين الكاس والنديم او في نوادي الفجور بين الهموم والعذاب الاليم . فان سألنا عن الشبيبة الناشئة رأيناها نسيت القاب اهلها وجهلت عوائد بلادها

فلا تسمع الا السير والمسترو المسيو . فان سألنا عن باقي العشيرة من الطبقة الاخرى وجدناها لا ترد جوابا ولا تفقه سؤالاً . فان اخذنا العجب لشدة الدهشة من هذا الاضطراب وسألنا اين اذن الامة وماذا تعمل وفي اي مكان تشتغل وما نتيجة اعمالها وو الخ لاجابنا القضاء بصدى ما سألناه فكأننا في واد والدنيا والمدنية والحضارة والتقدم والعمران والحياة في واد . فاين اذن بالله هذه الحياة التي تنادون بها واين الامة حتى تكون الحياة وان هي والله الا صوره في اللوح يراها كل حي فيظنها ناطقة سميعة بصيرة لشدة اتقان رسمها وما هي والله الا دهان ملون ورسم متقن لا ترد جوابا ولا تقرأ كتابا فهل هذه امة بين غيرها يا مضلي الامة وهل هذه حياة يا من تدعون اننا بين الغرب والشرق احياء !!! (والحديث يتبع)

الغرب والشرق

والحرب سجال

التاريخ كالمصور الماهر ان فاته دقائق من اصل الصورة لم يفته شكلها العمومي وعلى هذا الوجه سابني رسالتي هذه لا بين للناس ان دوام الحال محال . وان الحرب سجال . وان نوبة الغرب هذه كانت بعد نوائب . ونائبة الشرق كانت بعد نيل الرغائب . والمستقبل يعرف بالماضي وهما اشبه من الماء بالماء . فانعكاس الدورة معقول . ولكن زمنه مجهول . (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا) فكم امة كانت شامخة وهوت .